الاسم: محمد أبو الفتوح قرني

السن: 23 سنة

الوظيفة: طالب

تحليل نقدي لرواية "مغامرات هاكلبري فن"

يعتبر السيد "مارك توين" من أقوى الكتاب والروائيين الذين قدموا الأدب الأمريكي بشكل جعله يقارع الأدب الأوروربي في صدارة الكتب الأدبية العالمية ويرتقوا بمستوى مؤلفات هذا الأدب لمنصات المنافسة والإنتشار.

سبق هذه الرواية، رواية أخرى شهيرة بعنوان "مغامرات توم سوير" تعرض فيها لشاب يعيش مع عمته التي تحاول فرض سيطرتها عليه بكل الطرق مما يودي به في النهاية إلى محاولة الهرب مع شريكه وصديقه "هاك" لأنه شاب متمرد ويحب المغامرة ولا يستطيع التقيد بالقيود المفروضة عليه.

وعرض في الجزء الثاني من "مغامرات توم سوير" بعض الأحداث التي تعرض لها "هاك" مع صديقه المغامر "توم سوير" خلال ذهابهما في إحدى المغامرات إلى مجاهل أفريقيا.

ثم يأتي الجزء الثالث والذي يحمل عنوان "مغامرات هاكلبري فن" كتتمة لما سبقه من أجزاء. حيث تكونت شخصية "هاك" خلال هذه الأجزاء السابقة وتحول من شخص يخشى من كل شيء إلى شخص مغامر حقا بسبب ما فرض عليه من ظروف مثل أصدقائه المغامرين والسيدة "دوجلاس" وأختها الآنسة "واطسون" وغيرها من ظروف محيطة تودي به في النهاية إلى الهرب كما سبقه في ذلك "توم".

ويعرض السيد "مارك توين" في هذه الرواية ما جابهه "هاك" وصديقه "جيم" الذي لحق به في منتصف الرحلة بشكل رائع وتسلسل روائي ودرامي خلاب ويدفعك للإستمرار في متابعة الأحداث بشغف.

فبداية من تحول "هاك" إلى سجين في إحدى الغابات الموجودة على ضفاف المسيسيبي حيث تعرض خلال هذه الفترة لكثير من الضرب والإيذاء وسوء المعاملة من أبيه حتى تمكن من الهرب على قارب في المسيسيبي.

ثم يعرض بعد ذلك المبدع "مارك توين" العديد من الأحداث التي عاشها "هاك" بعد هربه منذ أن بدأت الأنباء تتوارد إلى المدينة بمقتله واتهام أكثر من شخص بما فيهم أبوه بأنه وراء هذه الجريمة المفترضة ومراقبته لعمليات البحث الجارية للعثور على جثته.

ثم يلتقي بـــ "جيم" خادم السيدة "واطسون" الذي فر هاربا هو الأخر بعد أن سمع أن سيدته ستبيعه لأسرة تعيش في منطقة يتعرض العبيد فيها لأوضاع معيشية سيئة. وهذا أيضا يعطي صورة لما كان يعانيه العبيد في هذه الحقبة من التاريخ من معاناة وإيذاء بسبب التمييز العنصري والطبقي بينهم وبين باقي أفراد المجتمع.

ويسرد السيد "مارك توين" بعض الأحداث التي حوتها أحاديث "هاك" و "جيم" عن ماضي الأخير وهي الأحاديث التي غيرت وجهة نظر "هاك" عن العبيد بشكل عام حيث أحس برقة مشاعر صديقه ومدى صدقه.

وتتوالى الأحداث في تتابع درامي أكثر من رائع ومغامرات تخلب الألباب وتحبس الأنفاس ويعرض فيها السيد "مارك توين" إبداعاته التصويرية التي تنقل القارئ ليعيش مع هاك في كل بقعة يذهب إليها ويجري به هائما في مياه الميسيسبي.

وفي تتالي الأحداث أيضا يتضح تأثر "هاك" بصديقه المغامر "توم سوير" فمثلا أثناء اقتحامه لباخرة غارقة حاول "جيم" أن يثنيه عن هذا فقال له "هاك": وهل تظن أن توم سوير كان من الممكن أن يفوت مثل هذه المغامرة؟.

كان "هاك" مدفوعا بحماسة شاب يتوق لممارسة حياته كيفما يراها هو، وكان "جيم" كثيرا ما يكبح جماح هذه الحماسة أحيانا وأحيانا لا يقدر على ذلك.

وقد ظهر ذلك في كثير من المواقف، واستوقفني كذلك مدى ميل السيد "مارك توين" إلى إظهار مشاعر وحب الزنوج ووفاءهم بصورة تبعث على التأمل في كيفية تفريق البشر بعضهم عن بعض على أساس الجنس أو اللون.ثم يوضح السيد "مارك توين" الحالة العامة للزنوج في المجتمع الأمريكي في هذا الوقت من جهل وبدائية حتى أن "جيم" وعلى الرغم مما وصفه به "هاك" من عقل ورزانة لم يكن يعلم عن الملوك شيئا حتى أنه لا يعلم من الملوك إلا الملك سليمان وملوك أوراق اللعب –الكوتشينة– كما صرح هو حين حدثه "هاك" عما يقرأه عن الملوك في الكتب.

كان التحرر من الرق للزنوج جريمة يعاقب القانون الأمريكي ويعاقب أيضا أي أبيض يحاول مساعدة زنجي على التحرر، حتى أن "هاك" قد أنبه ضميره على معاونته ل "جيم" واعتبر ذلك خيانة للسيدة "واطسون" التي لم تسء إليه فكيف يوجه لها هذه الإهانة بأنه لم يبلغ عن "جيم" حتى لو كان قد قابله في الطريق بالصدفة ولم يساعده في بداية الأمر؟ ولكن "جيم" لم يكن مكترثا لكل هذا، فقد كان غارقا في أحلام حياة ما بعد التحرر حيث يستطيع كسب المال وشراء زوجته وأولاده وتحريرهم من الرق، وإن لم يوافق أسيادهم فسيؤجر من يخطفهم له.

وهذا وصف لحالة كل عبد زنجي في هذا الوقت يرزح تحت وطأة الرق، وكان ما أخرج "هاك" من هذه الحالة ونيته أن يشي ب "جيم" ويسلمه هو كلمات "جيم" المليئة بالشكر والامتنان والحب، فتراجع عن فكرة تسليمه.

وينتقل السيد "مارك توين" بعدها حاكيا على لسان "هاك" كيف كان الناس مؤمنين سواء السود منهم أو البيض بالخرافات، فقد اعتبر كل من "هاك" و "جيم" كل ما تعرضا له من ضلالهم الطريق إلى كايرو، ثم سرقة قاربهم أو ضياعه إلى أن تحطمت عائمتهما فيما بعد كله بسبب ما لازم "هاك" من نحس بعدما لمس الأفعى ذات الجرس.

وتتواصل الأحداث الشيقة وحكايات "هاك" المليئة بالأكاذيب حينما أدى به سقوطه في الماء هو و "جيم" وتحطم العائمة إلى أن وصل إلى شاطئ النهر، وهناك دخل أحد البيوت وروى لأصحاب البيت كذبة جديدة ليسمحوا له بالبقاء بينهم ولو لفترة. ثم ينتقل السيد "مارك توين" إلى صورة جديدة من صور الفوضى في المجتمع الأمريكي في تلك الحقبة ألا وهي مشكلة الثأر، ويروي "باك" أصغر أبناء عائلة الجنرال "جرانجر فورد" صاحب المنزل المحتضن لـــ "هاك" كيف أن قضية ثأر عمرها حوالي ثلاثين عاما راح ويروح ضحيتها العشرات من عائلتين متناحرتين دون أن يعرف أحد السبب الرئيسي للخلاف الذي نشأ في بادئ الأمر بين هاتين العائلتين.

ثم أن "ملكا" و"دوقا" هبطا على "هاك" و"جيم" من السماء، هكذا ادعى رجلان هاربان وجدهما "هاك" في طريقه أثناء إحدى رحلاته الإستكشافية في أحد فروع النهر، وفي الحقيقة فقد أضفى ظهورهما المفاجئ مسحة من التجديد في الأحداث ومزيد من الإثارة. ومع توالي الأحداث في رفقة الشريفين الزائفين يروي "هاك" ما لاقاه في رفقتهما وكيف استطاعا اختراع كثير من الألاعيب لجمع أموال بالنصب والتحايل على الناس بإقامة عروض وهمية وكثير من الأحداث في كل شبر يمرون به وكيف تخلص منهما ثم وقع في يدهما ثانية وكيف اختفى "جيم" وتم القبض عليه بسبب هذين المحتالين.

عرض السيد "مارك توين" كثيرًا من الأحداث كان في بعضها إطالة من أجل الحبكة أحيانا، وأحيانا بدون داعي واضح ولكن إثارة هذه الأحداث جعلتها غير باعثة على الملل.

ويتوالى كذب "هاك" عند سقوطه في يد عائلة ظنت أنه "توم سوير"، وكان هذا هو قارب نجاته، لأنه لو كان المقصود شخص آخر غير "توم" لضاع "هاك" وانكشف كذبه، ولكن بما أنهم ينشدون "توم سوير" فقد حدثهم بكل ما يشاءون وفي هذا لمحة ذكاء من الكاتب الذي استطاع أن يخرج "هاك" من هذا المأزق.

ثم تأتي المفاجأة الأكبر والأجمل والتي غيرت بشكل كبير مسار الرواية قبل نهايتها حينما التقى الصديقان الحميمان "هاك" و"توم سوير"، فقد قلب ذلك الأحداث رأسًا على عقب بشكل يثير الإعجاب. ثم كيف ساعد "توم سوير" صديقه "هاك" في استعادة "جيم"، وهذا ما لم يكن "هاك" يصدقه، ووضح التناقض في عقل "هاك" الذي سقط صاحبه من نظره بسبب أنه كان يحاول أن يساعده فيما يرغب هو في فعله. ووصف وجهًا آخر من أوجه هذا البلد، ألا وهو كرم الجنوبيين وكيف أنهم أناس طيبون ومضيافون. ثم يظهر مرة أخرى معدن "هاك" الطيب حتى أنه حاول مساعدة اللصين حينما علم بافتضاح أمرهما، وبذل من أجل ذلك قصارى جهده، لكنه لم ينجح فقد اكتشف الأمر بعد فوات الأوان.

ولقد تواصل انبهار "هاك" بعقلية "توم" المائلة إلى التعقيد، ولكنه كان قد أحسن بالفعل الخروج من مأزق حينما صاح "جيم" باسمهما، فاستغل "توم" توهُّم الزنجي الحارس بالسحر، وضلله وجعله يشك فيما سمع. واتضح أيضا تأثر "توم" بالقصص والكتب التي قرأها عن المغامرات، ولكني أرى أن هذا الجزء لم يكن موفقا بشكل كبير لأن السيد "مارك توين" بالغ في تعقيد الأمور على لسان "توم" بداية من تغيير الخطط وابتكارات في كيفية تنفيذها. ثم أن "توم" بعد أن عاد إلى البيت برفقة الطبيب و"جيم"، وقد كان "توم" مصابا وراح في غيبوبة، وحينما صحا منها أخبر خالته بأنه وراء كل ما حدث من أشياء في البيت فغفرت له ذلك، وافتضح أمر "هاك" الذي زعم أنه "توم" وأن "توم" الحقيقي هو أخوه المدعو "سيدني" بوصول الخالة "بولي" التي أخبرت عائلة السيد "فيلبس" زوج خالة "توم" بالحقيقة وأخبرتهم أيضا أن السيدة "واطسون" قد ماتت وأوصت قبل موتها بعتق "جيم".

هكذا انتهت هذه المغامرات الشيقة والحكايات الممتعة بشكل مبدع وعلى خير نهاية، فقد حقق "جيم" أحلامه بالحرية وشكرته العائلة لما قدمه من مساعدة في علاج "توم" وأحسنوا إليه وأعطاه "توم" أربعين دولار لأنه ضحى بحريته لأجل إنقاذه وعودة ثروة "هاك" المقدرة بستة آلاف دولار.

أجد أنه خير نهاية وأرجو أن أكون قد وفقت في كلامي عن هذه الرائعة من روائع الأدب.